



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

اختبار طهران - إيران والحوار الاستراتيجي بين بغداد وواشنطن

د. كزار أنور البديري



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2020

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

اختبار طهران - إيران والحوار الاستراتيجي بين بغداد وواشنطن

د. كرار أنور البديري *

لقد أدى اشتداد التنافس الأمريكي-الإيراني في العراق بعد القضاء على تنظيم داعش إلى دعوة الفصائل المنضوية في الحشد الشعبي لإخراج القوات الأمريكية من العراق، وقد سبب ذلك الضغط على القوات الأمريكية عبر مهاجمتها واستهداف أفرادها؛ مما أدى إلى شن ضربات انتقامية أمريكية مثل اغتيال الجنرال الإيراني قاسم سليماني، ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس.

ولكن مع دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لفتح حوار استراتيجي مع بغداد، بدا أن هناك تراجعاً في التصعيد العسكري الأمريكي، وتفضيل الحلول الدبلوماسية؛ بالمقابل بدت إيران أكثر تهدئة مع الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في تغير الموقف الإيراني من تشكيل الحكومة العراقية⁽¹⁾، ويمكن ملاحظة تلك التهدئة الإيرانية مع الولايات المتحدة في يوم القدس العالمي الذي تحتفل به إيران سنوياً، فقد رُسم علم «الكيان الإسرائيلي» على بعض أرصفة العاصمة بغداد وشوارعها للسير عليه بالأقدام، في حين لوحظ أن تلك الشوارع قد خلت هذا العام من الأعلام الأمريكية التي كانت تُرسم عادة مع علم «الكيان الإسرائيلي» جنباً إلى جنب من قبل الفصائل المسلحة المنضوية في إطار الحشد الشعبي⁽²⁾.

1. حكومة مصطفى الكاظمي: هل هناك "اتفاق إيراني-أمريكي" وراء منح الثقة لهذه الحكومة في العراق؟ بي بي سي، 8 أيار 2020. ينظر الرابط الآتي: <https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52590740>
2. بالصور.. أعلام إسرائيل تغطي شوارع وأرصفة بغداد، وكالة روسيا اليوم، 22 أيار 2020، ينظر الرابط الآتي: <https://ar.rt.com/nxng>

* أكاديمي ودبلوماسي عراقي.

ويبدو أن هناك تهديّة عامة بين إيران وواشنطن، وهذا ما يمكن ملاحظته في الصمت الأمريكي تجاه ناقلات النفط الإيراني التي كانت متوجهة إلى الموانئ الفنزويلية على الرغم من العقوبات الاقتصادية التي تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية على فنزويلا⁽³⁾، ويمكن ملاحظة تلك التهديّة في إفراج إيران في يوم 4 حزيران 2020، عن العنصر السابق في البحرية الأمريكية مايكل وايت الذي كان محتجزاً لديها منذ العام 2018⁽⁴⁾.

أولاً: مصالِح متضاربة: ما الذي تريده إيران من الحوار الاستراتيجي بين بغداد وواشنطن؟

لا شك أن التهديّة الإيرانية مع الولايات المتحدة في العراق تعزى إلى سعي إيران لإخراج القوات الأمريكية من العراق عبر الحوار الاستراتيجي، وليس من طريق الاستهداف العسكري، مع إبقاء هذه الورقة تخضع للمساومة.

وقد يتصور المرء أن إيران تسعى إلى تمكين الحوار الاستراتيجي مع واشنطن، على العكس أن ما تسعى إليه إيران هو توجيه دفته بقوة نحو إخراج القوات الأمريكية من العراق بدلاً من إبقاء عمل القوات الأمريكية في بغداد، وذلك عكس الرغبة الأمريكية من الحوار الذي تسعى من خلاله واشنطن إلى إبقاء القوات الأمريكية في العراق، وأخذ الضمانات من الحكومة العراقية تجاه سلامة القوات الأمريكية والسفارة الأمريكية في العراق والمدنيين الأميركيين والشركات الأميركية العاملة في العراق⁽⁵⁾.

3. هل وصول ناقلات النفط الإيرانية لفنزويلا تحد "لهيبة واشنطن" المشغلة بأزمة كورونا؟، بي بي سي، 28 أيار 2020. ينظر

الرابط الآتي: <https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52833847>

4. إيران تفرج عن عنصر سابق في البحرية الأمريكية محتجز لديها منذ عامين، وكالة روسيا اليوم، 4 حزيران 2020، ينظر الرابط

الآتي: <https://ar.rt.com/o11u>

5. أنتوني كوردسمان، كارل كالتنار، منقذ داغر، حوار استراتيجي أمريكي . عراقي: مسألة مصالِح وتوقعات، معهد واشنطن

لسياسات الشرق الأدنى، 14 أيار 2020. ينظر الرابط الآتي:

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/fikraforum/view/Iraq-Strategic-Dialogue-United-States>

بمعنى: إن إيران تطرح نفسها بديلاً عن الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وتسعى لتعزيز حضورها الاقتصادي والسياسي والعسكري في مرحلة ما بعد انسحاب القوات الأمريكية؛ لهذا جاءت زيارة قائد فيلق القدس الإيراني إسماعيل قآني إلى العراق في 3 حزيران 2020 لوضع استحقاقات مرحلة الحوار العراقي الأمريكي وما بعده⁽⁶⁾.

بالمقابل تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من الحوار الاستراتيجي إلى طرح نفسها بديلاً عن إيران، فضلاً عن إدامة زخم الضغط عليها عبر تقييد العراق أو جعله يتصرف باستقلالية عن التأثير الإيراني والمساعدة الأمنية والاقتصادية الإيرانية؛ كون العراق -على وفق الحسابات الأمريكية- يعد معرقلاً لسياسة أقصى الضغط المتبعة تجاه إيران (أي العقوبات المشددة التي تضغط على النظام الإيراني)⁽⁷⁾.

وفضلاً عن ذلك، ففي الوقت الذي تسعى واشنطن إلى استقلال العراق عن الطاقة الإيرانية، تسعى إيران إلى تعزيز التعاون مع العراق في مجال الطاقة. وفي تحدٍ لتلك الممانعة الأمريكية زار وزير الطاقة الإيراني رضا اردكانيان بغداد قبيل بدء الحوار الاستراتيجي مع واشنطن بهدف تعزيز التعاون بين طهران وبغداد في مجال الكهرباء واستمرار توريد الغاز الإيراني إلى العراق⁽⁸⁾، الذي ما يزال يخضع توريده للعراق للاستثناء من العقوبات الأمريكية على إيران.

ولكن ما ينبغي الالتفات إليه بعناية: هو أن مساعي إيران لتقديم نفسها بديلاً عن الولايات المتحدة للعراق، لم تقابلها مساعي جدية من طهران لتسوية مشكلاتهما العالقة مع العراق. وهي

6. وليد الخزرجي، قآني في بغداد.. هذه دلالات الزيارة والأهداف المرجوة منها، عربي 21، 4 حزيران 2020. ينظر الرابط الأتي: <https://arb.im/1275480>

7. كرار أنور البديري، ما الذي تريد ان تتفاوض عليه واشنطن مع بغداد، مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2 حزيران 2020.

8. وكالة إيرانية: زيارة وزير الطاقة الإيراني إلى بغداد لاستمرار توريد الكهرباء والغاز للعراق، شبكة اخبار العراق، 3 حزيران 2020،

ينظر الرابط الأتي: <http://aliraqnews.com/?p=269193>

المشكلات التي تعد حيوية للعراق، وهذا ما ينبغي أن يلتفت إليه صانع القرار العراقي أمام المطالب الإيرانية في تقييد علاقة بغداد واشنطن. فما الذي ستقدمه طهران إلى بغداد مقابل ما سيقدمه لها العراق في علاقته مع واشنطن؟ هل ستعمل إيران على تسوية المشكلات العالقة مع العراق؟ إذ هناك العديد من القضايا الحيوية التي يجب تسويتها مع إيران غير الطاقة والتجارة. إذ لا توجد أهمية في تعزيز العلاقات مع طهران من دون تسوية هذه المشكلات؛ لذلك نتساءل: لماذا يجب على إيران تسوية مشكلاتها مع العراق؟

ثانياً: الحوار الاستراتيجي واختبار العلاقات مع طهران: لماذا يجب على إيران تسوية مشكلاتها مع العراق؟

لا حاجة بنا للقول: إن العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية ذات أهمية عليا للعراق على المستوى الدولي، فضلاً عن المستوى الداخلي اقتصادياً وعسكرياً، وليس من مصلحة العراق النأي بنفسه عن واشنطن، ولكن مع ذلك ليس من المصلحة أيضاً أن نعزز علاقتنا بالولايات المتحدة الأمريكية ونعلن فك الارتباط عن إيران، أو عدم توسيع آفاق التعاون مع إيران، إذ يمكن للعراق وبرؤية متوازنة أن يستفيد في علاقته مع كلا الطرفين لتعظيم المصلحة الوطنية العراقية.

وفضلاً عن أن علاقة العراق مع إيران لها روابط جغرافية وتاريخية، فإيران دولة مجاورة وذات ثقل إقليمي، ولها مع العراق العديد من المشتركات لا يمكن غض الطرف عنها، ومن واجب صانع القرار العراقي تطوير العلاقات مع إيران إلى آفاق رحبة، وألا يشاطر الرغبة الخليجية التي ترى إيران عدواً أزلياً. فإيران يجب التعاطي معها بعيداً عن الإقصاء والاستعداد، ذلك أنه ليس من مصلحة العرب أن يجمعوا على معاداة إيران؛ لأن ثمن معاداتها له حساب كبير، ولاسيما أن التنوع في علاقات العرب بإيران له فائدة للمنطقة ولإيران على السواء. وهذا ما اهتمت إليه سلطنة عُمان وقطر في علاقتهما مع إيران.

ولكن على الرغم من تطور العلاقات العراقية-الإيرانية منذ العام 2003 وحتى الوقت الحاضر، وتطور أفاق التعاون بين البلدين، وهو التعاون الذي ما يزال مضطرباً يوماً بعد يوم على الرغم من الضغوط والانتقادات الأمريكية باستغلال هذا التعاون لتحقيق مكاسب إقليمية إيرانية، وعلى الرغم من هذه التطورات الإيجابية في العلاقات بين البلدين، إلا أنه ما تزال هناك العديد من الموضوعات والملفات العالقة التي تحتاج إلى تسوية حقيقية لتبين نوايا إيران الحسنة إزاء العراق. وبما أن الورقة الإيرانية ستكون على طاولة الحوار الاستراتيجي، فعلى صانع القرار العراقي أن يأخذ ضمانات من طهران قبل أن يتحدث عن أهمية علاقته بإيران مع الولايات المتحدة أو ما سيقدمه لها من أفضليات، إذ لا توجد قيمة لعلاقات عراقية - إيرانية من دون تسوية المشكلات الآتية⁽⁹⁾:

1. مشكلة الحدود النهرية (انجراف خط التالوك)

لعل من أبرز المشكلات العالقة مع إيران التي تشكل تحدياً أساسياً ينبغي أن يولى له عناية خاصة، هي مشكلة انجراف خط الحدود النهرية في شط العرب (التالوك) لمسافة 2200 متر؛ مما كان عليه في العام 1975، على حساب الجانب العراقي؛ مما أدى ذلك إلى خسارة العراق لجزء من أراضيه وإضافتها إلى الجانب الإيراني، وهو ما يشكل تحدياً كبيراً على العراق لما له من أثر على سيادة العراق وبحره الإقليمي ومنطقته الاقتصادية وجرفه القاري؛ الأمر الذي تكمن خطورته في أنه سوف يسبب في المستقبل القريب بوقوع ميناء خور العمية النفطي داخل المياه الإقليمية الإيرانية.

على الرغم من تطور مشكلة الانجرافات الحاصلة في شط العرب، واستمرار الاتصالات بين مسؤولي البلدين لتنظيم اجتماعات فنية لدراسة الحلول لمشكلة تحديد المجرى العميق للنهر (خط التالوك)، إلا أن هذه الاجتماعات لم تفض لنتيجة تذكر. إذ إن هناك وجهات نظر متباينة بين العراق

9. لقد اعتمد الباحث على السفير محمد الحاج حمود لبيان المشكلة العالقة بين العراق وإيران وسبل حلها. للمزيد ينظر: محمد الحاج حمود، المفاوضات الدولية والسيادة الوطنية، ط1، (عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2019)

وإيران بشأن طبيعة التغيرات التي حصلت في شط العرب، إذ تعد إيران الانجرافات التي حصلت في شط العرب انجرافات طبيعية، ومن ثم فإن خط التالوك يتبع التغيرات الطبيعية التي حصلت في مجرى النهر حسب بروتكول الحدود النهرية لعام 1975. أما العراق فيرى أن هذه التغيرات التي حصلت في مجرى شط العرب هي تغيرات غير طبيعية؛ لذا يطالب بإعادة خط التالوك إلى أحداثيات عام 1975.

وفي الواقع أن التغيرات حصلت في شط العرب وفي القناة الملاحية عند مدخل شط العرب هي تغيرات غير طبيعية حدثت نتيجة عدة أسباب يلخصها كبير المفوضين العراقيين محمد الحاج حمود استناداً إلى فريق المسح العراقي بالآتي:

« وجود الغوارق في شط العرب نتيجة النزاع المسلح بين العراق وإيران بين عامي 1980 و1988.

« غلق إيران لقناة حفار الواصلة بين نهر الكارون وشط العرب، وتغيير مسار نهر الكارون إلى قناة بهشمير التي تصب في الجانب الإيراني من فوهة شط العرب؛ الأمر الذي أدى إلى انجراف تلك الفوهة، والممر الملاحي نحو المياه العراقية مكونة أراضي جديدة في الجانب الإيراني.

« الذي ساعد على التغيرات في شط العرب هو سرعة جريان التيارات في مياه الخليج العربي بفعل المد والجزر التي تسير عكس اتجاه عقارب الساعة؛ مما يدفع المصب باتجاه المياه العراقية.

« انخفاض كمية المياه العذبة المجهزة سنوياً إلى شط العرب من دجلة والفرات والكارون؛ بسبب السدود والخزانات في تركيا، وسوريا، وإيران.

« الأعمال الهندسية والإنشاءات الصناعية التي نفذت في مصفاة عبادان، وغيرها من العوامل غير الطبيعية، فضلاً عن كثافة حركة السفن والزوارق من قبل الجانب الإيراني واستخدامها السرعة العالية مما أدى إلى حدوث انجرافات في شط العرب.

يتبين مما ورد آنفاً أن التغيرات التي حصلت في شط العرب هي تغيرات غير طبيعية، الحقت ضرراً بالغاً بالإقليم العراقي وسيادته، مع العرض أن خط العمق الجديد لا يخدم توجه العراق في الحفاظ على مياهه الإقليمية وينتزع من العراق مساحة كبيرة لها أثر بالغ على سيادته وبحره الإقليمي ومنطقته الاقتصادية الخالصة وجرفه الإقليمي، ويمنع العراق من ممارسه حقه في المنطقة، وينتقص من مساحة أراضيه ومياهه.

وأمام هذا الواقع، لم تقدم إيران أي فرصة لتسوية هذه المشكلة مع العراق على الرغم من الاجتماعات العديدة مع الجانب الإيراني، إذ كانت هناك ممانعة، وعدم جدية من الجانب الإيراني بحسم الملف، وعدم إبداء مرونة مع العراق وإعادة خط الحدود إلى ما كان عليه عام 1975.

2. مشكلة عدم وجود حدود بحرية مع إيران (البحر الإقليمي والجرف القاري والمنطقة الاقتصادية الخالصة)

من بين المشكلات العالقة مع إيران التي لها صلة بالمشكلة الأولى (انجراف خط التالوك) هي عدم وجود حدود بحرية للعراق متفق عليها تحدد مناطق: البحر الإقليمي والجرف القاري والمنطقة الاقتصادية الخالصة، مع الجانب الإيراني في الطرف الشمالي من الخليج العربي، وهي الحدود التي يشترك فيها العراق مع الكويت فضلاً عن إيران؛ الأمر الذي يستدعي اتفاقاً ثلاثياً مع هاتين الدولتين؛ لتحديد تلك المناطق على وفق أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، مع العرض أنه لا يجوز أن تنفرد دولتان من بين الدول الثلاث في تحديد تلك المناطق دون مشاركة الدولة الثالثة.

غير أن مشكلة تحديد الحدود البحرية بين العراق وإيران والكويت مرتبطة بالمشكلة الأولى (تحديد خط التالوك)، ولا تنفصل عنها، إذ لا بد قبل تحديد الحدود البحرية تحديد خط الأساس في شط العرب فيما إذا كان يتبع خط التالوك على وفق بروتكول تحديد الحدود النهرية لعام 1975، أو يتبع الخط الذي أوجدته الانجرافات غير الطبيعية في شط العرب منذ العام 1975 وحتى الوقت الحاضر.

3. مشكلة الأنهار المشتركة مع إيران

يشارك العراق مع إيران باثنتين وأربعين نهرًا حدوديًا محاذيًا تنبع من داخل الأراضي الإيرانية، وتصب في داخل الأراضي العراقية في نهر دجلة، ونهر ديالى، وهور الحويضة. وقد قامت إيران -بشكل منفرد ومن دون التشاور مع العراق في السنوات الاخيرة- ببناء السدود والخزانات على هذه الأنهار المشتركة؛ الأمر الذي حجب المياه على الأراضي العراقية، وألحق ضرراً كبيراً على الواردات المائية لهذه الأنهار، وتردي نوعية مياهها، وانعكاس ذلك سلباً على حياة السكان والأراضي الزراعية والثروة السمكية. وفي الواقع أن عملية استثمار المجاري المائية المشتركة بين العراق وإيران يخضع لاتفاق يعود للعام 1975، ولكن هناك ملاحظة من الجانب الإيراني في تنفيذ هذا الاتفاق.

يقول السفير محمد الحاج حمود: لو عدنا إلى الاتفاق المبرم بين البلدين بشأن استثمار مجاري المياه الحدودية، وهو الاتفاق الموقع عليه في بغداد في 26 كانون الأول 1975، سنجد أن المادة الثانية منه تقسم الأنهار المشتركة والمتتابعة بين البلدين إلى ثلاث مجموعات:

1. تقسيم مياه نهر بناوة سوتا، وقرّة تو، وكنكير مناصفة بين البلدين
2. يجري تقسيم مياه نهر الوند، وكنجان جم، والطيب، والدويريج بين البلدين على أساس محاضر جلسات لجنة تحديد الحدود العثمانية الإيرانية العام 1914 والعرف.
3. يجري التقسيم بين البلدين لتصريف مجاري الماء المحاذية والمتتابعة التي لم تذكر في الفقرتين المذكورتين طبقاً لأحكام هذا الاتفاق.

ويضيف الحاج حمود: عند مناقشة هذه النصوص، نجد أن إيران لم تتقيد بتقسيم مياه المجموعة (أ) على أساس المناصفة، وإنما حولت أغلب مياه نهر هذه المجموعة لسقي الأراضي الزراعية، ولا يحصل العراق على النصف المقرر على وفق الاتفاق. أما المجموعة (ب) فقد أحالها النص إلى محاضر جلسات لجنة تحديد الحدود العثمانية الإيرانية لعام 1914، ولا يجوز التلاعب بحصص المياه لهذه

المجموعة؛ لأن تلك المحاضر ملزمة للطرفين وموقعاً عليها من قوميسري الدول الأربع: تركيا، وإيران، وبريطانيا، وروسيا. أما بالنسبة للمجموعة (ج) فلم يرد بشأنها نص باتفاق 1975، وبقي أمرها غامضاً، وأطلقت إيران يدها بالتصرف بمياهاها دون مراعاة لحقوق العراق وسكانه عليها.

تبين هذه القضايا العالقة مستوى علاقات إيران بالعراق، فعلى الرغم من تطور العلاقات العراقية الإيرانية بعد العام 2003 وحتى الوقت الحاضر، إلا أن إيران لم تسع أو تبين أي حسن نية في حل هذه القضايا العالقة مع العراق أو تسويتها بما فيها قضية الحدود البرية، وعلى الرغم من المساعي الدبلوماسية العراقية لبحث هذه المشكلات مع إيران بيد أن الوفود العراقية تبين لها ممانعة عالية من الجانب الإيراني وعدم رغبة بتسوية مشكلة خط التالوك، وترسيم الحدود البرية والنهرية، فضلاً عن عدم رغبتهم بمناقشة قضية الأنهار المشتركة وتوفير الحصص المائية العادلة من المياه للعراق.

لذلك على صانع القرار العراقي أن يسعى إلى تسوية هذه المشكلات مع إيران بأسرع وقت مقابل المزايا أو الأفضليات التي يمكن أن يمنحها لها العراق في حوار الاستراتيجي مع واشنطن، ولاسيما إذا كانت إيران راغبة فعلاً في تطوير علاقتها مع العراق، وتفويت الفرصة الأمريكية للنيل من هذه العلاقة، إذ إن التعاون الاستراتيجي الذي تروج له إيران في علاقتها مع العراق يقتضي تعظيم المصالح العليا بين الطرفين وتسوية المشكلات العالقة بينهم، ذلك بأن تسوية مشكلة شط العرب، وغيرها من المشكلات العالقة تعزز من مستوى العلاقات الأخوية بين إيران والعراق، وتبعث رسالة إلى العالم العربي وإلى الولايات المتحدة الأمريكية بأن إيران تسعى نحو علاقة متينة مع العراق ولا تسعى للسيطرة عليه كما يُدعى.